

Sacrament of Repentance and Confession

سر التوبة والاعتراف

Fr. Jacob Nadian
St. Bishoy Coptic Orthodox Church

سر التوبة والاعتراف هو أحد أسرار الكنيسة السبعة، له جذوره في العهد القديم ولكنه أصبح في العهد الجديد من أعمال الآباء الرسل، وخلفائهم. فهو لا يخص كهنة العهد القديم فقط، بل ويمارسه كهنة العهد الجديد أيضاً بعد أن انتقل إليهم عمل الكهنوت.

وهناك الكثير من الأسئلة التي تدور حول هذا السر ومنها:

1. ما معنى المعمودية التوبة وهل لها علاقة بالاعتراف؟
2. كيف تم غفران الخطايا في زمن يوحنا المعمدان؟
3. هل كان هناك اعتراف أيام الآباء الرسل؟
4. ما معنى اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات؟
5. ما معنى "فليدع قسوس الكنيسة"؟
6. هل يكفي الاعتراف لله فقط؟
7. ما معنى "وكلاء سرائر الله"؟
8. ما معنى "واضعاً فينا كلمة المصالحة"؟
9. ما معنى "الوكيل الأمين الحكيم"؟
10. ما معنى "ليعطيهم طعامهم في حينه"؟
11. لمن نعترف؟
12. ما معنى "من أمسكتم خطاياهم أمسكتم"؟
13. هل يجب على أن الكاهن يدعوا الناس إلى التوبة والاعتراف أم يتركهم لأنفسهم؟
14. ماذا عن اعتراض البعض على كلمة "كاهن"؟
15. هل كان يوجد اعتراف في العهد القديم؟
16. ما معنى "ليس هناك وسيط بين الله والناس إلا يسوع المسيح"؟
17. ما معنى "إن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الأب يسوع المسيح البار"؟
18. ما معنى "لا تدعوا لكم أباً على الأرض"؟
19. كيف نعترف؟
20. هل هناك تداريب روحية لاستمرارية التوبة؟

وسنتناول كل من هذه الأسئلة على حدة في طريقة مبسطة علي قدر المستطاع.

سؤال: ما معنى المعمودية التوبة وهل لها علاقة بالاعتراف؟

إن اقتران المعمودية التوبة بالاعتراف أمر واضح جداً في الأناجيل، سواء في خدمة القديس يوحنا المعمدان، أو في خدمة السيد المسيح، أو في خدمة الآباء الرسل وخلفائهم بعد صعود السيد المسيح إلى السماء.

فكما أسس السيد المسيح سر الإفخارستيا الذي هو سر التناول المقدس، فهو أيضاً الذي أسس سر الاعتراف، وهو أيضاً الذي أسس سر المعمودية، وأسس أسرار الكنيسة كلها.

يقول في بداية إنجيل معلمنا مرقس الرسول عن يوحنا المعمدان:
✠ "كان يوحنا يعمد في البرية ويكرز بعمودية التوبة لمغفرة الخطايا. وخرج إليه جميع كورة اليهودية وأهل أورشليم واعتمدوا جميعهم منه في نهر الأردن معترفين بخطاياهم" (مرقس 1: 4، 5)

والذي قد أرسل يوحنا المعمدان أمام السيد المسيح هو الله الأب:
✠ "كما هو مكتوب في الأنبياء؛ ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيئ طريقك قدامك. صوت صارخ في البرية، أعدوا طريق الرب، اصنعوا سبله مستقيمة" (مرقس 1: 2، 3)

"ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي" صيغة يقولها الأب لابن؛ سأرسل قدامك من يهيئ طريقك أمامك.

ونعود إلى جوهر الموضوع وهو أن معمودية التوبة لمغفرة الخطايا ليست منفصلة عن الاعتراف. بل مقترنة به من البداية كما جاء في (مرقس 1: 4، 5) عليه. إنهم اعتمدوا معترفين بخطاياهم أي أنهم مارسوا التوبة والاعتراف مع المعمودية على يد يوحنا ابن زكريا الكاهن ابن الكاهن.

نفس الكلام ذكره معلمنا متى في إنجيله مثلما ذكره معلمنا مرقس:
✠ "وفي تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز في برية اليهودية، قائلًا توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السماوات... واعتمدوا منه في الأردن معترفين بخطاياهم" (متى 3: 1-6)

سؤال: كيف تم غفران الخطايا في زمن يوحنا المعمدان؟

جاءت مرحلة انتقالية وهي التي ظهر فيها يوحنا المعمدان الذي يسمى نبي العهدين وكان من نسل هارون وهو الذي عمّد السيد المسيح في نهر الأردن، وشهد أنه رأى الروح القدس يحل على رأسه مثل حمامة وقال:
✠ "هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم" (يوحنا 1: 29)

لم يمارس يوحنا كهنوته بطريقة العهد القديم حيث الهيكل وتقديم الذبائح مع إنه كاهن وابن زكريا الكاهن، إنما مارسه بالمعمودية - معمودية التوبة. ذلك لأنه كان يمهد الطريق أمام حمل الله الذي يرفع خطية العالم كله، فهذا هو الذبيح الحقيقي- فليست الحاجة بعد إلى ذبائح العهد القديم- كان يوحنا يكرز بعمودية التوبة لمغفرة الخطايا حتى تتحول الأنظار إلى الحمل الذي هو الذبيحة الحقيقية.

ثم ارتبط الحمل بالمعمودية لأن الحمل أتى ونزل إلى مياه الأردن حينئذ أتى صوت الأب من السماء وحل الروح القدس عليه ليعلن أن هذا هو مسيح الله المسيا المنتظر.

وبنزول السيد المسيح إلى نهر الأردن أسس سر المعمودية المقدس وظهر الثالث في ذلك اليوم الأب والابن والروح القدس، ونحن نؤمن بالمعمودية كما علمنا السيد المسيح وقال للرسول:
✠ "أذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس" (متى 28: 19)

فأسس حمل الله سر المعمودية لكي يعرفنا إننا بالمعمودية ننال استحقاقات المغفرة التي يتمها بموته الفدائي على الصليب. لذلك فإن مغفرة الخطايا في خدمة يوحنا المعمدان كانت بالمعمودية.

ومن المعروف أن مغفرة الخطايا في العهد القديم كانت عن طريق تقديم الذبائح في الهيكل. ولكن لماذا نُقلت إلى المعمودية؟ ذلك لأنها كانت رمزاً للمعمودية التي جاء السيد المسيح لكي يمنحها للمؤمنين وتكون هي الوسيلة التي بواسطتها يغتسلون بدم الحمل الذبيح.

كانت معمودية التوبة التي كرز بها يوحنا المعمدان، رمزية لذلك قال السيد المسيح للتلاميذ:

✠ "يوحنا عمّد بالماء وأما أنتم فستتعمّدون بالروح القدس" (أعمال 1: 5)

يشرح القديس يوحنا الذهبي الفم قول السيد المسيح: "ستتعمدون" مع أنه بالحقيقة لم يكن يوجد ماء في العلية، أن الجزء الأساسي في العماد هو الروح، الذي خلاله يقوم الماء بعمله. بنفس الطريقة يُقال عن ربنا يسوع أنه مُسح مع أنه لم يمسح قط بزيت، وإنما لأنه قبل الروح. هذا بجانب أنهم بالحقيقة قبلوا عماداً بالماء (وعماداً بالروح) وذلك في لحظات مختلفة. ففي البداية عمدهم يوحنا بالماء.

وقال أيضاً لنيقوديموس:

✠ "الحق الحق أقول لك إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله" (يوحنا 3: 5)

لكن في كل هذه الأمور يبقى الاعتراف لمغفرة الخطايا ملازماً لكل المراحل سواء مرحلة الذبائح الحيوانية أو مرحلة معمودية التوبة في نهر الأردن أو مرحلة العهد الجديد بعد تأسيس الكنيسة وحلول الروح القدس في يوم الخمسين.

سؤال: هل كان هناك اعتراف أيام الآباء الرسل؟

كان يوحنا المعمدان يكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا، كما ذكر أعلاه:

✠ "اعتمدوا جميعهم منه في نهر الأردن معتريين بخطاياهم" (مرقس 1: 5)

فكان الاعتراف في بداية خدمة يوحنا المعمدان، تمهيداً لظهور المخلص، ومناداته هو أيضاً بالتوبة:

✠ "قائلاً توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات" (متي 3: 2)

هذا ما حدث أيضاً في خدمة الآباء الرسل بعد إتمام الفداء؛ إنهم كانوا يدعون الناس إلى التوبة والاعتراف وقبول المصالحة مع الله في السيد المسيح:

✠ "ودعا الاثني عشر وابتدا يرسلهم اثنين اثنين واعطاهم سلطانا على الارواح النجسة... فخرجوا وصاروا يكرزون ان يتوبوا. وخرجوا شياطين كثيرة ودهنوا بزيت مرضى كثيرين فشفوهم" (مرقس 6: 7 - 13)

واستمر الوضع في خدمة الآباء الرسل، فقد كان يأتي إليهم الكثير من الرجال والنساء الذين آمنوا بالسيد المسيح ليعتمدوا منهم سواء في يوم الخمسين أو بعد ذلك. وذكر هذا في سفر الأعمال. ولكن عندما كانوا يأتون للآباء الرسل لكي يعتمدوا، ليس فقط لمجرد أنهم آمنوا بالسيد المسيح، بل كانوا يقرّون ويعترفون بخطاياهم:

✠ "وكان كثيرون من الذين آمنوا يأتون مقرّين ومخبرين بأفعالهم" (أعمال 19: 18)

سؤال: ما معنى "اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات"؟

يسئ البعض فهم الآية التالية في رسالة يعقوب الرسول أنها تعني أن نتكلم بعضنا مع بعض دون الحاجة إلى كاهن:

✠ "اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات، وصلوا بعضكم لأجل بعض لكي تشفوا، طلباً البار تقدر كثيراً في فعلها" (يعقوب 5: 16)

وينسوا الآيات المكتوبة قبلها مباشرة التي تقول:

✠ "أمريض أحد بينكم فليدع قسوس الكنيسة فيصنّوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب. وصلاة الإيمان تشفى المريض، والرب يقيمه. وإن كان قد فعل خطية تغفر له" (يعقوب 5: 14، 15)

وهذا يوضح لماذا يدهن المريض بالزيت ولماذا نصلي من أجله. والاجابة هي أن تغفر له خطايه. فعندما قال: إن كان قد فعل خطية تُغفر له، استدرك سريعاً في آية 16 وقال "اعترفوا" أي لا تُغفر لهذا المريض الخطية إلا إذا اعترف.

ولئلا يظن أحد أنه يكفي أن يعترف في سرّه، قال "اعترفوا بعضكم لبعض". يفسّر البعض هذه الآية بقولهم إنه من الممكن أن يعترف الإنسان لأي شخص من الإخوة! لا، لم يقل الرسول هذا، بل قال "أمريض أحد بينكم فليدع قسوس الكنيسة" (يعقوب 5: 14).

سؤال: ما معنى "فليدع قسوس الكنيسة"؟

لقد ترجم البعض كلمة *πρεσβύτερος* (برسفيتيروس) في الترجمة البيروتية العربية للكتاب المقدس (ترجمة فاندايك) بكلمة "شيوخ" في رسالة يعقوب الرسول (يعقوب 5: 14).

وهم أنفسهم ترجموا هذه الكلمة مرة أخرى في نفس الطبعة في سفر أعمال الرسل بكلمة "قسوس" قالوا عن بولس الرسول:

✠ "ومن ميليتس أرسل إلى أفسس واستدعى قسوس الكنيسة" (أعمال 20: 17)

طبعاً هذا الاختلاف عندهم في ترجمة نفس الكلمة هو بسبب الغرض البسيط (من بين العديد) في التخلص من الكهنوت الذي يمارس الأسرار الكنسية. فلا حاجة الي الاعتراف أو تناول من جسد ودم حقيقي بل خبز وخبز لينصعوا هذا لذكره...الخ.

ولكن من الواضح أن كلمة شيوخ الكنيسة تعنى قسوس الكنيسة. فعندما يقول "صلوا بعضكم لأجل بعض لكي تُشفوا" (يعقوب 5: 16) فهل المريض الذي سيصلى لأجل القسوس؟! أم القسوس هم الذين يصلون لأجل المريض؟ النص الكتابي يقول:

✠ "أمريض أحد بينكم فليدع قسوس الكنيسة فيصلوا عليه" (يعقوب 5: 14)

إن عبارة "صلوا بعضكم لأجل بعض لكي تُشفوا" أي أن القسوس يصلون على المريض، وليس المريض الذي يصلى على القسوس.

فعبارة "بعضكم لبعض" لا تعنى التبادل بين الطرفين، بل تعنى البعض الذين هم القسوس، والبعض الآخر هو المريض. وبالمثل فعبارة "اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات" (يعقوب 5: 16) لا تعنى أن القسوس يعترفون للمريض، بل المريض هو الذي يعترف للقسوس لأنه يقول:

✠ "وصلاة الإيمان تشفى المريض والرب يقيمه وإن كان قد فعل خطية تغفر له" (يعقوب 5: 15)

فالمقصود بغفران الخطايا هنا هو المريض. من هذه الفقرة يُستنتج ما يُسمى "اعتراف للآخر".

سؤال: هل يكفي الاعتراف لله فقط؟

يقول البعض لماذا لا يعترف الشخص في سرّه أو في صلاته فقط بينه وبين ربنا؟

وللرد على ذلك لدينا نصين السابق شرحهما:

✠ "كان كثيرون من الذين آمنوا يأتون مقرّين ومخبرين بأفعالهم" (أعمال 19: 18)

✠ "اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات" (يعقوب 5: 16)

وكما شرحنا، فإن "بعضكم" هو المريض و"البعض" هم قسوس الكنيسة.

ولذلك يقول يوحنا الرسول في رسالته الأولى:

✠ "إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم" (1 يوحنا 1: 9)

فكلمة "إن اعترفنا بخطايانا" ليس المقصود بالاعتراف هنا مجرد أن يعترف الإنسان بينه وبين نفسه لأنه لم ترد إطلاقاً في الكتاب المقدس آية واحدة تقول بأن يعترف الإنسان في سره، بينما وردت عدة آيات تدل على أن الاعتراف يتم أمام الكاهن.

وهكذا كان الإنسان في العهد القديم أيضاً يعترف بخطياه. بل الجماعة أيضاً أحياناً كانت تعترف بخطيتها إن كانت خطية جماعية. فمثلاً:

✠ "من يكتم خطياه لا ينجح، ومن يُقر بها ويتركها يُرحم" (أمثال 28: 13)

فلم يذكر هنا أنه يعترف في سره، بل قال: يُقر بها لكي لا يكتمها، لأن الإقرار هو بالإفصاح بالكلام، أي يُمارس الاعتراف بأن يذكرها ويعترف بها "من يُقر بها ويتركها يُرحم". إذ لا يكفي أنه يترك الخطية، ولكن ينبغي أيضاً أن يعترف بها.

في سفر يشوع ابن سيراخ:

✠ "لا تستحي أن تعترف بخطاياك" (سيراخ 4: 31)

يعتبر البعض أن سفر يشوع بن سيراخ من الأسفار المحذوفة ولكن كل الكنائس الأرثوذكسية والكاثوليكية تسميها الأسفار القانونية الثانية، لكن لا يستطيع أحد منهم إنكار أن هذا السفر يحمل نوعاً من التعليم النافع. فعند قوله "لا تستحي أن تعترف بخطاياك" يدل على الجو الذي كان يعيش فيه يشوع بن سيراخ عندما كتب هذه العبارة سواء اعترف البعض بها أنها أسفار قانونية أولى أو ثانية، لكن في كل الأحوال كان هذا هو المعنى المحيط بيشوع بن سيراخ في الحياة الدينية وقت كتابته لهذا السفر.

أما عن اعتراف الإنسان في سره فقط، فإن هذا له مساوئ كثيرة. ولكن هذا لا يعني أن لا يحاسب الإنسان نفسه؛ بالطبع لا بد للإنسان أن يشعر بخطأه بينه وبين نفسه، ولا بد أن يحاسب نفسه.

يقول بولس الرسول عن الاستعداد للتناول من جسد الرب ودمه:

✠ "ولكن ليمتحن الإنسان نفسه وهكذا يأكل من الخبز ويشرب من الكأس" (1 كورنثوس 11: 28)

بل الكل ينادى بأهمية محاسبة النفس، ومراجعة النفس مثل الابن الضال في مثل التوبة:

✠ "فرجع إلى نفسه وقال كم من اجير لابي يفضل عنه الخبز وأنا اهلك جوعاً. اقوم واهب الى ابي واقول له يا ابي اخطات الى السماء وقدامك. ولست مستحقاً بعد ان ادعى لك ابنا اجعلني كاحد اجراك" (لوقا 15: 17 -

19)

هذا الأمر لا يرفضه أحد، بل الجميع يطلبونه.

والسؤال هنا: ماذا بعد مراجعة ومحاسبة النفس؟ هل ينبغي أن يتم الاعتراف أمام الأب الكاهن؟ أم يكفي أن يعترف الإنسان بينه وبين الله؟

أحياناً يقول البعض: إن كان لا بد من الاعتراف، فمن الممكن الاعتراف أمام أي أخ من الإخوة. طبعاً هذا الكلام معارض لتعاليم الكتاب المقدس، كما أوضحنا ونضيف إلى ذلك ما ذكر عن المرأة الخاطئة.

قد عُفرت خطاياها الكثيرة

يقول الكتاب عن المرأة الخاطئة إنه كانت خاطئة في المدينة وعرفت أن يسوع في بيت الفريسي:

✠ "وإذا امرأة في المدينة كانت خاطئة إذ علمت أنه متكئ في بيت الفريسي جاءت بقرورة طيب. ووقفت عند قدميه من ورائه باكية وابتدأت تبل قدميه بالدموع وكانت تمسحهما بشعر رأسها وتقبل قدميه وتدهنهما بالطيب" (لوقا 7: 37، 38)

قال عنها السيد المسيح:
✠ "قد غفرت خطاياها الكثيرة لأنها أحببت كثيراً" (لوقا 7: 47)

وقال لها:
✠ "إيمانك قد خلّصك" (لوقا 7: 50)

السيد المسيح كان في كل مكان بلاهوته، ففي وقت وجوده على الأرض، كان يملأ السماوات والأرض بلاهوته. بدليل أنه قال لنيقوديموس:
✠ "ليس أحد صعد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء ابن الإنسان الذي هو في السماء" (يوحنا 3: 13)

أثناء كلامه مع نيقوديموس لَقِب نفسه بابن الإنسان وقال له: الذي يكلمك الآن ابن الإنسان، وهو في السماء بلاهوته الذي هو مالى السماء والأرض. لو أرادت المرأة الخاطئة أن تعترف للسيد المسيح بالطريقة الغير أرثوذكسية، لكان من الممكن أن تعترف له في غرفتها الخاصة في بيتها بدون أن يكون السيد المسيح أمامها بالجسد، فالسيد المسيح لا هوته يملأ الوجود كله.

وفي هذه الحالة كانت ستكتفي بأن تقول "ياربي يسوع المسيح ارحمني" وينتهي الأمر بالنسبة لها. لكن ما حدث بالفعل أنها أتت أمام الناس الحاضرين في وسط الاحتفال الذي صنعه الفريسي للسيد المسيح، وجلست تبكي تحت قدمي السيد المسيح وتمسحهما بشعر رأسها. فهذا نوع من الاعتراف الواضح حيث إنها أرادت أن تنال المغفرة. بل وسمعان الفريسي نفسه قال:
✠ "لو كان هذا نبياً لعلم من هذه المرأة التي تلمسه وما هي إنها خاطئة" (لوقا 7: 39)

امرأة كانت خاطئة في المدينة، أي أن المدينة كلها تعلم أنها خاطئة. فعندما أتت تحت قدمي السيد المسيح في وسط الاحتفال وبهذه الصورة أمام الناس كلها وظلت تبكي هذا البكاء، فهذا هو اعتراف واضح للسيد المسيح أمام الناس الحاضرين الذين كانوا يعرفون خطاياها. اعتراف أنها أخطأت وندمت بدموع وانسحاق وعند القدمين. لماذا إذا لم تتب في غرفتها فقط؟

من الممكن أن يدعى أحد أن المرأة فعلت هذا عند قدمي السيد المسيح، لكن ليس عند الأب الكاهن. ونحن نقول له: في زمن هذه المرأة كان السيد المسيح موجوداً على الأرض، لكن بعد صعود السيد المسيح ما العمل؟ وإلى من تعترف؟

سؤال: ما معنى "وكلاء سرائر الله"؟

يقول معلمنا بولس الرسول:

✠ "هكذا فليحسبنا الإنسان كخدام المسيح ووكلاء سرائر الله. ثم يُسأل في الوكلاء لكي يوجد الإنسان أميناً" (1 كورنثوس 4: 1، 2)

بولس الرسول هو وكيل سر. ويقول نحن خدام للسيد المسيح ولكن وكلاء للأسرار. فالسيد المسيح صعد إلى السماء وأقام وكلاء له في الكنيسة. ويستطيع الوكيل أن يقوم بالعمل المكلف به من صاحب المصلحة.

فإذا أراد أحد أن يبيع قطعة أرض مثلاً، وليس لديه الوقت أن يذهب إلى الشهر العقاري، أو أن يسافر ليتفاوض في البيع، فيقوم بعمل توكيل لشخص ما ثم يقوم هذا الشخص الذي صار وكيلاً بإجراءات البيع ليس من ملكه الخاص ولا بقدرته الذاتية، لكن بحكم التوكيل المسجل الممنوح له. فالتوكيل له قوة، وله مفعول.

يتكلم القديس بولس الرسول عن الأسقف أنه وكيل الله:
✠ "لأنه يجب أن يكون الأسقف بلا لوم وكيل الله" (تيطس 1: 7)

فليس بولس الرسول ولا بطرس الرسول ولا التلاميذ ولا الرسل فقط هم وكلاء الله، بل الأمر استمر أيضاً من بعدهم لخلفائهم.

لم يكن بولس الرسول من الاثني عشر، ولا من السبعين رسولاً، بل على العكس كان يضطهد الكنيسة. وحيث إن السيد المسيح قد دعاه، والكنيسة وضعت اليد عليه، وأخذ الرسولية، صار وكيلاً لله:
✠ "وبينما هم يخدمون الرب ويصومون قال الروح القدس أفرزوا لي برنابا وشاول للعمل الذي دعوتهما إليه. فصاموا حينئذ وصلوا ووضعوا عليهما الأيدي ثم أطلقوهما. فهذان إذ أرسلنا من الروح القدس، انحدرنا إلى سلوكية ومن هناك سافرا في البحر إلى قبرس" (أعمال 13: 2-4)

أرسلنا من الروح القدس عن طريق الكنيسة التي وضعت اليد عليهما. قال القديس بولس الرسول لتلميذه تيطس:
✠ "من أجل هذا تركتك في كريت لكي تكمل ترتيب الأمور الناقصة وتقيم في كل مدينة قسوساً كما أوصيتك"
(تيطس 1: 5)

أقام بولس الرسول تيطس أسقفاً وقال له لقد تركتك في كريت لكي تقيم في كل مدينة قسوساً كما أوصيتك. هذا هو العمل الكهنوتي الرعوي في الكنيسة.

ولذلك يقول معلمنا بولس الرسول في رسالته الأولى لكورنثوس:
✠ "فوضع الله أناساً في الكنيسة، أولاً رسلاً، ثانياً أنبياء، ثالثاً معلمين، ثم قوات وبعد ذلك مواهب شفاء" (1 كورنثوس 12: 28)

وضع الله أناساً في الكنيسة.

ويقول أيضاً:
✠ "وهو أعطى البعض أن يكونوا رسلاً، والبعض أنبياء، والبعض مبشرين، والبعض رعاة ومعلمين"
(أفسس 4: 11)

سؤال: ما معنى "واضعاً فينا كلمة المصالحة"؟

يكمل معلمنا بولس الرسول شرحه لكلمة وكلاء الله بأنهم يحملون كلمة المصالحة، كقوله:
✠ "ولكن الكل من الله الذي صالحنا لنفسه بيسوع المسيح واعطانا خدمة المصالحة. أي ان الله كان في المسيح مصالحة العالم لنفسه غير حاسب لهم خطاياهم وواضعاً فينا كلمة المصالحة" (2 كورنثوس 5: 18، 19)

ولماذا أعطانا كلمة المصالحة؟ لأننا بها نصالح الناس مع الله فالوكلاء يقوموا بالعمل الآتي:
✠ "نسعى كسفراء عن المسيح كأن الله يعظ بنا، نطلب عن المسيح تصالحوا مع الله" (2 كورنثوس 5: 20)

في ضوء هذه الآيات، ما معنى "واضعاً فينا كلمة المصالحة"؟ أي عندما نقول لأحد "الله يحالك" لا نعطي الحِل من سلطاننا، لكن نعطيه من استحقاقات دم السيد المسيح وبسلطان موهبة الروح القدس. فقد وُضعت فينا هذه الكلمة، أي وُضعت في الوكيل وليس في أي شخص عادي.

سؤال: ما معنى "الوكيل الأمين الحكيم"؟

عندما تكلم السيد المسيح في إنجيل معلمنا لوقا عن السهر والاستعداد لمجيء العريس أي الاستعداد لليوم الأخير قال:

✠ "أنتم أيضاً تشبهون أناساً ينتظرون سيدهم متى يرجع من العرس، حتى إذا جاء وقرع يفتحون له للوقت. طوبى لأولئك العبيد الذين إذا جاء سيدهم يجدهم ساهرين. الحق أقول لكم إنه يتمنطق ويتكلمهم ويقوم فيخدمهم. وإذا جاء في الهزيع الثاني، أو جاء في الهزيع الثالث، ووجدهم يصنعون هكذا، فطوبى لأولئك العبيد. وهذا اعلموه؛ أنه لو كان رب البيت يعلم في أية ساعة يأتي السارق، لكان يسهر ولم يدع بيته ينقب. فكونوا أنتم أيضاً مستعدين فإنه في ساعة لا تعرفونها يأتي ابن الإنسان" (لوقا 12: 36-40)

يكلم السيد المسيح كل الناس سواء تلاميذه أو المؤمنين به. ثم سأله بطرس الرسول:

✠ "يا رب أننا نقول هذا المثل أم للجميع أيضاً" (لوقا 12: 41)

أي كان بطرس الرسول يسأله هل هذا الكلام موجه لنا فقط—يقصد الآباء الرسل— أم موجه لكل الشعب؟ أجابه الرب بما معناه أن الكلام السابق موجه لهم وللشعب كله حسبما قيل "أنتم مثل أناس ينتظرون سيدهم... طوبى لأولئك العبيد الذين إذا جاء سيدهم يجدهم ساهرين". لكن ما يلي سيوجه لكم، أي للرسل.

ثم تكلم الرب بعد ذلك مباشرة عن الوكيل وقال:

✠ "فمن هو الوكيل الأمين الحكيم الذي يقيمه سيده على عبيده ليعطيهم طعامهم في حينه؟" (لوقا 12: 42)

إذاً هذا الوكيل أقيم على الباقيين، فهو ليس مثل الباقيين، ليس بمعنى أنه أفضل منهم، بل يقصد أنها مسئولية ومن يحمل المسئولية سيدفع ثمنها. فأحياناً يهرب البعض من المسئولية من أجل خطورة المسئولية. ومن يتعب سيأخذ أجره تعب. فإن وجد الوكيل أميناً سيكافأ عن أمانته ويأخذ أجراً أكبر. ومن يهرب من المسئولية خوفاً من حسابها أو شعوراً بضغفه أمامها، سوف لا يأخذ أجر الوكيل الأمين. المشكلة هي إذا قبل الإنسان المسئولية وهو ليس أميناً، سيكون حسابها عسيراً.

فليس الأمر هو تمييزاً، بل هو قبول تحمل المسئولية بدافع الحب أي أن يكون مستعداً لخدمة الآخرين مثلما قال الرب لبطرس:

✠ "يا سمعان بن يونا أتحنيني؟ قال له نعم يا رب أنت تعلم أني أحبك. قال له ارفع غنمي" (يوحنا 21: 16)

لذلك يقول:

✠ "فوضع الله أناساً في الكنيسة، أولاً رسلاً، ثانياً أنبياء، ثالثاً معلمين، ثم قوات وبعد ذلك مواهب شفاء" (1 كورنثوس 12: 28)

فلا بد أن يكون عمل الرعاية بدافع الحب، لكن يحمل معه تحذيراً "فمن هو الوكيل الأمين الحكيم؟" ليس أميناً فقط، بل حكيمياً أيضاً:

✠ "طوبى لذلك العبد الذي إذا جاء سيده يجده يفعل هكذا. حقاً أقول لكم إنه يقيمه على جميع أمواله. ولكن إن قال ذلك العبد الرديء في قلبه إن سيدي يبطئ في قدومه، فيبدأ يضرب العبيد والإماء ويأكل ويشرب ويسكر. يأتي سيد ذلك العبد في اليوم الذي لا يتوقعه، وفي الساعة التي لا يعرفها فيشقه من وسطه ويجعل نصيبه مع عديمي الإيمان" (لوقا 12: 43-46)

يشقه من وسطه، أي كان الأفضل له أن لا يكون وكيلًا. لذلك قال القديس بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس:
✠ "إن ابغى أحد الأسقفية فيشتهى عملاً صالحاً" (1 تيموثاوس 3: 1)

فإن لم يكن أميناً في مسئوليته، يشقه الرب من وسطه ويجعل نصيبه مع عديمي الإيمان.

قد يهرب الكثيرون من كرامة الأسقفية لمعرفةم بخطورتها وجسامة المسئولية والوكالة التي يتحملها الإنسان أمام الله. ففي يوم رسامة الأسقف يتسلم عصا الرعاية ويُقال له: "إن الرب قد انتمك على نفوس رعيته ومن يدك يطلب دمها". ولذلك كُتِب أيضاً عن الكهنوت:

✠ "لا يأخذ أحد هذه الوظيفة بنفسه بل المدعو من الله كما هرون أيضاً" (عبرانيين 5: 4)

أى لا بد للإنسان أن يشعر بوجود دعوة إلهية، ومن الممكن أن يقبلها بدافع من الحب مثلما قال الرب لبطرس الرسول:

✠ "يا سمعان بن يونا أتحنيني؟ قال له نعم يا رب أنت تعلم أني أحبك. قال له ارع غنمي" (يوحنا 21: 16)

سؤال: ما معنى "ليعطيهم طعامهم في حينه"؟

قال السيد المسيح:

✠ "اعملوا لا للطعام البائد بل للطعام الباقي للحياة الأبدية الذي يعطيكم ابن الإنسان" (يوحنا 6: 27)

وقال أيضاً:

✠ "لأن خبز الله هو النازل من السماء الواهب حياة للعالم" (يوحنا 6: 33)

فأهم شيء يمنحه وكيل الله للناس، الذي اقامه سيده على خدمتهم، هو جسد الرب ودمه كما قال في لوقا 12: 42 وقررها في متي أيضاً قائلاً:

✠ "فمن هو العبد الأمين الحكيم الذي اقامه سيده على خدمه ليعطيهم الطعام في حينه" (متي 24: 45)

إذاً في حينه تعني قبل أن يموت الإنسان ويضيع. لأنه قال:

✠ "الحق الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم" (يوحنا 6: 53)

فهل يترك الوكيل الناس متغربين عن الله لا يتوبون ولا يتناولون، ويصلح بعد ذلك أن يدعى وكيلاً أميناً حكيماً؟ لذلك يقول معلمنا بولس الرسول:

✠ "وأعطانا خدمة المصالحة" (2 كورنثوس 5: 18)

إذاً رسالة الأسقف أو الكاهن أن يقود الناس إلى التوبة لكي يستطيعوا أن يتقدموا للمائدة المقدسة ويتناولوا خبز الحياة الذي نقول عنه في القداس الإلهي [يُعطى عنا خلاصاً وغفراناً للخطايا وحياة أبدية لكل من يتناول منه] ولكن إن أهمل الأسقف أو الكاهن وترك إنساناً يموت قبل أن يتوب ويتناول، سيحاسب هذا الأسقف أو الكاهن أمام الرب كيف ترك هذا الإنسان؟ وكيف لم يدعه للتوبة وإلى مائدة الحياة؟ لأن الرب قال:

✠ "فمن يأكلني فهو يحيا بي" (يوحنا 6: 57)

هذا لا يمنع أن الأسقف أو الكاهن مسئول عن رعاية الفقراء واحتياجاتهم المادية أيضاً، ليس الرعاية الروحية فقط، لأن السيد المسيح قال:

✠ "لأنني جعت فأطعمتموني، عطشت فسقيتموني، كنت غريباً فأويتموني" (متي 25: 35)

وقال أيضاً:

✠ "بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر فبني فعلتم" (متي 25: 40)

إذاً الأسقف أيضاً يهتم باحتياجات الفقراء المادية من كل ناحية، برعاية شاملة. لكن ما فائدة أن يطعمهم خبزاً أرضياً، ولا يهتم أن يطعمهم الخبز السماوي؟ فالسيد المسيح بعد أن صنع معجزة إشباع الجموع بدأ يوبخهم لأنهم يبحثون عن الخبز الأرضي وليس عن الخبز السماوي فقال لهم:

✠ "الحق الحق أقول لكم أنتم تطلبونني ليس لأنكم رأيتم آيات، بل لأنكم أكلتم من الخبز فشبعتم. اعملوا لا للطعام البائد، بل للطعام الباقي للحياة الأبدية" (يوحنا 6: 26، 27)

سؤال: لمن نعترف؟

لا يمارس الاعتراف على أي شخص، بل هناك وكيل، وقد قال السيد المسيح لبطرس:

✠ "أعطيك مفاتيح ملكوت السماوات، فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السماوات، وكل ما تحله على الأرض يكون محلولاً في السماوات" (متي 16: 19)

ولم يقل الرب هذا الكلام لبطرس فقط، بل قاله أيضاً لكل الرسل:

✠ "الحق أقول لكم كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً في السماء، وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولاً في السماء" (متي 18: 18)

فإذا ظن أحد أن المقصود بهذه الآية إنهم إذا حللوا طعاماً محدداً فيكون هذا الطعام محلاً، أو ربطوه فيربط أي يحرم، من الممكن أن يفسر البعض هذه الآية بهذا التفسير! وبالطبع هذا تفسير خاطئ.

فقد ظهر السيد المسيح للتلاميذ بعد القيامة وقال لهم:

✠ "سلام لكم كما أرسلني الأب أرسلكم أنا" (يوحنا 20: 21)

من الممكن أن يفكر التلاميذ ويقولون: هذه إرسالية صعبة على ضعفنا. كيف كما أرسله الأب للعالم، يرسلنا نحن؟ فهو الفادي، وهو المخلص، وهو الغافر للخطايا والذنوب، ماذا نصنع نحن للناس؟ بالفعل هذه إرسالية صعبة، لكن مفهوم هذه الإرسالية يتضح من الآية التي تليها مباشرة، وهو الحل والربط لغفران الخطايا:

✠ "ولما قال هذا نفخ وقال لهم اقبلوا الروح القدس. من غفرت خطاياهم تغفر له، ومن أمسكتم خطاياهم أمسكتم" (يوحنا 20: 22، 23)

من الممكن أن تشمل الآية الخاصة بالحل والربط بعض الأمور التدييرية في الكنيسة في الحل والربط مثلما جاء في الكتاب:

✠ "لأنه قد رأى الروح القدس ونحن أن لا نضع عليكم ثقلاً أكثر غير هذه الأشياء الواجبة. أن تمتنعوا عما دُبِح للأصنام وعن الدم والمخنوق والزنا" (أعمال 15: 28، 29)

فما تحلونه يكون محلولاً، وما تربطونه يكون مربوطاً في هذا الأمر. ولكن لا تقف المسألة عند هذا الحد من الحل والربط لأنه عندما أعطاهم سلطان الروح القدس، قال لهم:

✠ "من غفرت خطاياهم تغفر له، ومن أمسكتم خطاياهم أمسكتم" (يوحنا 20: 23)

إذاً الحل والربط ليس في مسألة الطعام فقط، فالأهم من الطعام هو غفران الخطايا.

سؤال: ما معنى "من أمسكتكم خطاياهم أمسكتكم"؟

لقد نفخ السيد المسيح في وجوه تلاميذه وقال لهم اقبلوا روحاً قدساً، وهذا حدث في يوم قيامته من بين الأموات من قبل صعوده بأربعين يوماً عندما ظهر لتلاميذه أثناء اجتماعهم وقال لهم:
✠ "سلام لكم كما أرسلنى الأب أرسلكم أنا" (يوحنا 20: 21)

فقد أخذت الإرسالية بُعداً جديداً في هذه المرة حيث إن السيد المسيح كان قد تم الفداء؛ وعلى الرغم من أنه دعاهم سابقاً رسلاً، إذ اختارهم، وأرسلهم، لكن في هذه المرة أخذت الإرسالية بُعداً جديداً وهو مغفرة الخطايا. وهذا تم بنفخة الروح القدس.

أما حلول الروح القدس في يوم الخمسين، فقد كان على كل المؤمنين المجتمعين في العلية من رجال ونساء. وهذا هو سر المسحة المقدسة الذي نسميه نحن "سر الميرون". لكن ما حدث للتلاميذ في العلية بعد القيامة مباشرة، يوم أحد القيامة، إذ أعطاهم الرب موهبة الكهنوت بسطان الروح القدس بصورة مميزة عن حلول الروح القدس في يوم الخمسين. وهذه الموهبة هي لسطان مغفرة الخطايا.

بذلك يتضح لنا أن الأسقف هو وكيل الله لأنه يستطيع بسطان الروح القدس أن يمنح الحل:
✠ "من غفرتم خطاياهم تغفر له، ومن أمسكتكم خطاياهم أمسكتكم" (يوحنا 20: 23)

فإذا لم يسمع الاعتراف، فكيف يعرف إن كان هذا الشخص تائباً أو غير تائب، وكيف بذلك يغفر للبعض خطاياهم أو يمسك للبعض خطاياهم؟

إن اكتفى الكتاب فقط بعبارة "من غفرتم خطاياهم تغفر له" سنقول إذاً من الممكن بمجرد أن يطلب الشخص الحل للغفران من الكاهن، سيعطيه الحل وينتهي الأمر عند هذا الحد. لكن قد أكمل الرب الآية وقال "ومن أمسكتكم خطاياهم أمسكتكم" إذاً الغفران ليس لكل أحد، بل الأمر يتوقف على اختبار هل هو تائب؟ أم غير تائب؟

وهنا تحضرني بعض القصص التي توضح أهمية الاستماع إلى الاعتراف.

قصة:

يُحكى عن أحد الآباء الكهنة، كانت لديه ساعة ذهب بكاتينة يعلقها في جيبه. جاء إليه في الكنيسة شاب ليعترف وركع أمامه بانسحاق قائلاً: حاللنى يا أبى لأنى سرت. فسمع الأب الكاهن باقى اعترافه وصلّى له التحليل. وبعد أن مضى هذا المعترف من الكنيسة، بحث الكاهن عن ساعته فلم يجدها، فعلم الكاهن إنه كان من الواجب أن يسأل هذا الشاب الذي اعترف بسرقة، هل أرجع السرقة لأصحابها أم لا؟
لقد قال زكا للرب:

✠ "ها أنا يا رب أعطى نصف أموالى للمساكين وإن كنت قد وشيت بأحد، أرد أربعة أضعاف" (لوقا 19: 8)

فعلى الأقل كان من الواجب سؤال هذا الشاب، ما الذي سرقة؟ أو هل أرجع السرقة لأصحابها أم لا؟ وهنا تظهر أهمية "الحكمة" في وكيل الله:

✠ "من هو الوكيل الأمين الحكيم الذي يقيمه سيده على عبيده ليعطيهم طعامهم في حينه" (لوقا 12: 42)

توضح هذه القصة أهمية اقتران الاعتراف بالتوبة، ولا بد أن يكون أب الاعتراف حكيماً في وقت الاعتراف ليقود المعترف إلى توبة حقيقية، ليس مجرد كلمة "الله يحالك" بل يجب أن يُقِيم توبته، يزنها ويرى هل هي توبة حقيقية أم لا؟ هل أرجع ما هو عليه؟ هل أصلح ما أفسده على قدر ما يستطيع؟ إذا شتم أحد، هل اعتذر له؟ لا بد من أن يقيم الأب الأسقف أو الكاهن اعتراف الشخص وتوبته، هل هي توبة حقيقية، وعندئذ يسمع المعترف نفسه عبارة:

✠ "يا بنى مغفورة لك خطاياك" (متى 9: 2، مرقس 2: 5)

كما سمعها المفلوج من فم السيد المسيح. يسمعها المعترف من فم الأسقف أو الكاهن في عبارة [الله يحالك] بسطان الروح القدس الممنوح للأب الأسقف أو للأب الكاهن فينال الغفران باستحقاقات دم المسيح.

قصة أخرى:

جاء إنسان يلتمس حلاً عن خطية قتل قد ارتكبها، وكانت القضية مازالت التحقيقات تجري فيها، إنما أراد أن ينال الحل من الناحية الروحية بتقديم توبة واعتراف. وأراد الكاهن تقييم توبة هذا المعترف، فسأله عن سبب القتل وعرف إنه بسبب مشاجرة وخلافات بينه وبين القتيل. ولكي يتحقق الكاهن من صدق توبة هذا الإنسان، سأله: لو فرض أن قام هذا القتيل حياً من بين الأموات؛ ماذا تصنع معه؟ أجاب: أقتله مرة أخرى. حينئذ أدرك الأب الكاهن عدم صدق توبة هذا المعترف، ولم يقبل أن يعطيه الحل عن خطيته، بل وبّخه على عدم توبته.

فعبارة "من أمسكتم خطاياهم أمسكت" (يوحنا 20: 23) يوضحها ما فعله الكاهن إذ أمسك عليه خطيته ولم يمنحه الغفران ولم يجد أمامه غير أن يخرج من أمام وجهه مثلما سوف يفعل السيد المسيح في اليوم الأخير إذ يقول للأشرار:

✠ "أذهبوا عنى يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته" (متى 25: 41)

فبنفس مقدار الحب والحنان الذي يجب أن يتعامل الكاهن به مع الإنسان التائب النادم على خطيته، يجب أيضاً أن يُظهر غضب الله لغير التائب:

✠ "لأن غضب الله معن من السماء على جميع فجور الناس وإثمهم الذين يحجزون الحق بالإثم" (رومية 1: 18)

وقد قال السيد المسيح نفسه لليهود:

✠ "إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون" (لوقا 13: 3)

وقال لهم أيضاً:

✠ "أنا أمضى وستطلبونني وتموتون في خطيتكم. حيث أمضى أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا" (يوحنا 8: 21)

وكذلك القديس يوحنا المعمدان قال لليهود:

✠ "والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجر، فكل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقى في النار" (متى 3: 10).

سؤال: هل يجب على الكاهن يدعو الناس إلى التوبة والاعتراف أم يتركهم لأنفسهم؟

يحذرنا رب المجد مما قد يحدث في الأيام الأخيرة للأشرار:

✠ "اجتهدوا أن تدخلوا من الباب الضيق فاني أقول لكم ان كثيرين سيطلبون ان يدخلوا ولا يقدر. من بعدما يكون رب البيت قد قام واغلق الباب وابتدأتم تقفون خارجاً وتقرعون الباب قائلين يا رب يا رب افتح لنا يجيب ويقول لكم لا اعرفكم من اين أنتم. حينئذ تبتدون تقولون اكلنا قدامك وشربنا وعلمت في شوارعنا. فيقول أقول لكم لا اعرفكم من اين أنتم تباعدوا عني يا جميع فاعلي الظلم. هناك يكون البكاء وصرير الاسنان" (لوقا 13: 24 – 28)

✠ ثم يقول أيضاً للذين عن اليسار اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الابدية المعدة لإبليس وملائكته" (متى 41: 25)

لهذا، يجب على الكاهن من نبع حبه لأبناءه أن يدعوهم إلى التوبة وينذرهم ويحذرهم من غضب الله،

✠ "لأن غضب الله معن من السماء على جميع فجور الناس وإثمهم الذين يحجزون الحق بالإثم" (رومية 1: 18)

ويذكرهم بما قاله السيد المسيح لليهود:

✠ "اقول لكم بل ان لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون" (لوقا 13: 3، 5)
✠ "فقلت لكم انكم تموتون في خطاياكم لانكم ان لم تؤمنوا اني انا هو تموتون في خطاياكم" (يوحنا 8: 24)

وقد فعل هذا يوحنا المعمدان:

✠ "الان قد وضعت الفاس على أصل الشجر فكل شجرة لا تصنع ثمرا جيدا تقطع وتلقى في النار" (يوحنا 3: 9)

وأيضاً أوصي معلمنا بولس الرسول تلميذه تيموثاوس أن يفعل نفس الشيء:

✠ "الذين يخطئون وبخهم أمام الجميع لكي يكون عند الباقين خوف" (1 تيموثاوس 5: 20)

وفي قصة حنانيا وسفيرة عندما اختلسا من ثمن الحقل الذي كان لهما وباعاه وأتيا بجزء من الثمن للقديس بطرس الرسول على أنه كل ثمن الحقل، قال لهم بطرس:

✠ "يا حنانيا لماذا ملأ الشيطان قلبك لتكذب على الروح القدس وتختلس من ثمن الحقل. أنت لم تكذب على الناس بل على الله. فلما سمع حنانيا هذا الكلام وقع ومات. وصار خوف عظيم على جميع الذين سمعوا بذلك" (أعمال 5: 3-5)

وجاءت سفيرة وسألها:

✠ "قولي لي أبهذا المقدار بعثما الحقل؟ فقالت نعم بهذا المقدار. فقال لها بطرس ما بالكما اتفقتما على تجربة روح الرب؟ هوذا أرجل الذين دفنوا رَجُلِكَ على الباب وسيحملونك خارجاً. فوقع في الحال عند رجليه وماتت. فصار خوف عظيم على جميع الكنيسة وعلى جميع الذين سمعوا بذلك" (أعمال 5: 8-11)

لأن الكذب على الروح القدس أمر لا يمر بالبساطة كما يتصور البعض.

فإذا كان الأسقف هو وكيل الله فالقس هو وكيل الأسقف فيأخذ توكيلاً بالتوكيل ولذلك كان كثير من الآباء الكهنة القدامى يكتبون في الكارت الخاص بهم: فلان ... وكيل شريعة الأقباط الأرثوذكس في بلدة (كذا). لأنه وكيل عن قداسة البطريك أو عن نيافة المطران أو الأسقف الذي هو رئيس كهنة، أما رئيس الكهنة الأعظم فهو السيد المسيح. في هذا يقول الكتاب المقدس:

✠ "لأن شفتي الكاهن تحفظان معرفة ومن فمه يطلبون الشريعة لانه رسول رب الجنود" (ملاخي 2: 7)

سؤال: ماذا عن اعتراض البعض على كلمة "كاهن"؟

في حوار الكنائس الأرثوذكسية الشرقية مع بعض قيادات الطوائف الأخرى (الاتحاد العالمي للكنائس المصلحة W.A.R.C.) وكان الحوار في دمشق في دير مار أفرام السرياني في معرة صيدنايا في ضيافة قداسة البطريك الأنطاكي مار اغناطيوس زكا الأول) حول سر الكهنوت، قالوا لم تذكر كلمة كاهن بالنسبة للآباء الرسل في العهد الجديد ولكن ذكرت كلمة قس أو أسقف ذلك لأنه لا يوجد كاهن في العهد الجديد في السماء ولا على الأرض إلا ربنا يسوع المسيح فقط وهو الكاهن الوحيد. فلم يوافقهم وقد كنيسة القبطية برئاسة نيافة الحبر الجليل الأنبا بيشوي على هذا الرأي وقال:

أنه يفهم من كل ما ذكرناه عن سلطان الكهنوت، أن هناك ممارسة لسر الكهنوت، فمثلاً؛ حينما أعطى السيد المسيح جسده ودمه للتلاميذ في ليلة آلامه قال لهم:

✠ "اصنعوا هذا لذكري" (لوقا 22: 19)

فقد أعطاهم السلطان أن يصنعوا سر الإفخارستيا (التناول المقدس)، ولذلك دُعي السيد المسيح رئيس كهنة على رتبة ملكي صادق، فطقس ملكي صادق هو تقدمية الخبز والخمر. فهو رئيس كهنة على رتبة ملكي صادق لأنه صادق يوجده كهنة يقدمون تقدمية الخبز والخمر في العهد الجديد.

لكنهم يناقشون الموضوع بعيداً عن زاوية أن السيد المسيح رئيس كهنة وأنه يوجد كهنة يقدمون تقدمية على رتبة ملكي صادق، وأن عمل المغفرة يمارسه الأساقفة والقسوس كوكلاء لأسرار الله. فهذا لا يكفي بالنسبة لهم، بل يصرون أنه لا توجد كلمة "كاهن" في العهد الجديد. ولكن أثناء الحوار طلبنا نسخة من مكتبة الدير من كتاب العهد الجديد باللغة اليونانية؛ وهي اللغة الأصلية التي كُتبت بها، وأخرجنا لهم كلمة "كاهن" التي وردت في رومية وفيها يقول معلمنا بولس الرسول:

✠ "حتى أكون خادماً ليسوع المسيح لأجل الأمم مباشرةً لإنجيل الله ككاهن ليكون قربان الأمم مقبولاً مقدساً بالروح القدس" (رومية 15: 16)

هكذا أوضحنا لهم أن كلمة *ἐρουργούντα* (بيرورجونتا) التي من الفعل *ἐρουργέω* (بيرورجينو) بمعنى "يخدم ككاهن" التي تتكون من الكلمة *ἐρός, α, ον* (إيروس) بمعنى "طقوس مقدسة - أشياء مقدسة - إلهية" والكلمة *ἔργον* (إيرجون) بمعنى "عمل - وظيفة". فكلمة *ἐρός* هي المشتقة منها كلمة *ἱερεύς* (إيرفس) بمعنى "كاهن" وليس *πρεσβύτερος* (برسفيتيروس) التي تعني "قس" أي "سفير" أو "شفيع"، فكلمة *ἱερεύς* باليونانية تعني "كاهن" وليس لها أي معنى آخر على الإطلاق.

وبعد مشاهدة قيادات الطوائف الأخرى في العالم أثناء الجلسة لهذه الكلمة؛ لم يمكنهم أن يجيبوا على هذا الأمر. أما نحن الأرثوذكس؛ فإننا نفهم تماماً أهمية الكهنوت في خدمة الآباء الرسل.

فعندما يقول القديس بولس الرسول في الآية السابقة كلمة "ككاهن"، فهو قد ذكر "قربان الأمم" لأنه رسول الأمم وقال عن تكليف الرسل له بذلك:

✠ "أعطوني وبرنابا يمين الشركة لنكون نحن للأمم" (غلاطية 2: 9)

فقد كان مكلفاً بخدمة الأمم، مثلما يقول أحد أن هذا هو أسقف المدينة الفلانية فيقول: حتى أكون خادماً ليسوع المسيح لأجل المدينة الفلانية مباشرةً لإنجيل الله ككاهن ليكون قربان المدينة الفلانية مقبولاً مقدساً بالروح القدس. فهنا تحديد إطار الخدمة التي يخدمها.

ولكن لكي يكون قربان الشعب الذي يخدمه مقبولاً ومقدساً بالروح القدس، لا بد أن يكون هو كاهناً، وبدون أن يكون كاهناً لن يُقبل القربان فكيف يستطيع أن يقدم القربان وأن يرفع الذبيحة الإلهية في القداس إن لم يكن هو كاهناً؟

وإن قلنا إنه يجب أن يكون رئيس كهنة، فالسيد المسيح كان مذكوراً عنه أنه رئيس كهنة:

✠ "لأنه كان يليق بنا رئيس كهنة مثل هذا قدوس بلا شر ولا دنس" (عبرانيين 7: 26)

✠ "وأما رأس الكلام فهو أن لنا رئيس كهنة مثل هذا قد جلس في يمين عرش العظمة في السماوات"

(عبرانيين 8: 1)

وفي موضع آخر ذكر عن السيد المسيح أنه كاهن:

✠ "أقسم الرب ولن يندم أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق" (عبرانيين 7: 21)

ف رئيس الكهنة هو كاهن مثلما يكون رئيس الجند جندياً ورئيس الأطباء طبيباً.

سؤال: هل كان يوجد إقرار في العهد القديم؟

في العهد القديم إن أخطأ إنسان ما، كان يأتي بذبيحة ويضع يده على رأس الذبيحة ويعترف بخطايا أمام الكاهن، فيأخذ الكاهن الذبيحة ويذبحها ويرش الدم ويكفر عن الخطية، وهكذا تموت نفس بريئة عوضاً عن نفس خاطئة:

✠ "وان اخطأ أحد من عامة الارض سهوا بعمله واحدة من مناهي الرب التي لا ينبغي عملها واثم. ثم اعلم بخطيته التي اخطأ بها ياتي بقربانه عنزا من المعز انثى صحيحة عن خطيته التي اخطأ. ويضع يده على رأس ذبيحة الخطية ويذبح ذبيحة الخطية في موضع المحرقة. ويأخذ الكاهن من دمها باصبعه ويجعل على قرون مذبح المحرقة ويصب سائر دمها الى أسفل المذبح. وجميع شحمها ينزعه كما نزع الشحم عن ذبيحة السلامة ويوقد الكاهن على المذبح رائحة سرور للرب ويكفر عنه الكاهن فيصفر عنه. وان اتى بقربانه من الضان ذبيحة خطية ياتي بها انثى صحيحة. ويضع يده على رأس ذبيحة الخطية ويذبحها ذبيحة خطية في الموضع الذي يذبح فيه المحرقة. ويأخذ الكاهن من دم ذبيحة الخطية باصبعه ويجعل على قرون مذبح المحرقة ويصب سائر الدم الى أسفل المذبح. وجميع شحمه ينزعه كما ينزع شحم الضان عن ذبيحة السلامة ويوقده الكاهن على المذبح على وقائد الرب ويكفر عنه الكاهن من خطيته التي اخطأ فيصفر عنه" (لاويين 4: 27 - 35)

✠ "إذا حلف أحد مفترطاً بشفتيه للاسءاءة او للاحسنان من جميع ما يفترط به الانسان في اليمين وأخفي عنه ثم علم فهو مذنب في شيء من ذلك. فان كان يذنب في شيء من هذه يقر بما قد اخطأ به. ويأتي الى الرب بذبيحة لاثمه عن خطيته التي اخطأ بها انثى من الاغنام نعجة او عنزا من المعز ذبيحة خطية فيكفر عنه الكاهن من خطيته" (لاويين 5: 4 - 6)

✠ "وكلم الرب موسى قائلاً. قل لبني اسرائيل إذا عمل رجل او امرأة شيئاً من جميع خطايا الانسان وخان خيانة بالرب فقد اذنبت تلك النفس. فلتقر بخطيتها التي عملت وترد ما اذنبت به بعينه وتزد عليه خمسه وتدفعه للذي اذنبت اليه" (عدد 5: 5 - 7)

يتكلم هنا في العهد القديم عن إنسان من بني إسرائيل عندما يخطئ أنه يضع يده على رأس ذبيحة الخطية ويقر بما أخطأ به، ويكفر عنه الكاهن. فلا بد إذاً من وجود الإقرار بالخطية.

ومن هنا تظهر فكرة الاعتراف بالخطية أثناء تقديم الذبيحة والإقرار بها أي الإقرار العلني وليس أن يعترف الشخص في سره.

ومما ذكر عن الاعتراف في العهد القديم أيضاً قصة عخان بن كرمي عندما أخذ من الحرام، قال له يشوع بن نون: ✠ "يا ابني أعط الآن مجداً للرب إله إسرائيل واعترف له وأخبرني الآن ماذا عملت. لا تُخف عني" (يشوع 7: 19)

وهكذا طلب منه أن يعترف للرب بما فعله بإخبار يشوع.

كذلك حينما اعترف داود الملك بخطيته أمام ناثان النبي، قال له ناثان: ✠ "الرب أيضاً قد نقل عنك خطيتك لا تموت" (2 صموئيل 12: 13)

من كل ما ذكرناه يتضح أن ممارسة الاعتراف كانت موجودة في العهد القديم.

سؤال: ما معنى "ليس هناك وسيط بين الله والناس إلا يسوع المسيح"؟
هناك الكثير من يرفضون أن يكون هناك وكيل بينهم وبين الله، معتمدين على الآية التي تقول:
✠ "لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس: الإنسان يسوع المسيح" (1 تيموثاؤس 2: 5)

بالطبع لا أحد يقدر أن يغفر الخطية بدمه، ولا أن يتوسط بين الآب وبين البشرية من أجل مغفرة الخطايا، ويدفع ثمن هذا الغفران إلا السيد المسيح. فمن يستطيع أن يكفر عن خطايا الناس بذبيحة نفسه إلا السيد المسيح. ومن يخلص ومن يغسل بدمه إلا السيد المسيح. نحن جميعاً نتفق في هذا الأمر.

السيد المسيح له وكلاء. والوكيل ليس له نفس سلطان السيد المسيح أن يغفر بدمه هو شخصياً، لكنه يغفر بدم السيد المسيح الذي وكّله. فهو مجرد وكيل لا يعطى مما يملكه، بل يأخذ من استحقاقات السيد المسيح ويمنح للمخدومين لذلك يقول:
✠ "هكذا فليحسبنا الإنسان كخدام المسيح ووكلاء سران الله" (1 كورنثوس 4: 1)

سؤال: ما معنى "إن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار"؟
يشرح لنا الكتاب المقدس شيئاً هاماً عن الذبائح في العهد القديم، فيقول:
✠ "ويضع هرون يديه على رأس التيس (عزازيل) الحي ويقر عليه بكل ذنوب بني اسرائيل وكل سيئاتهم مع كل خطاياهم ويجعلها على رأس التيس ويرسله بيد من يلاقيه الى البرية. ليحمل التيس عليه كل ذنوبهم إلى أرض مقفرة. فيطلق التيس في البرية" (لاويين 16: 21 - 22)

يضع الإنسان يده على رأس الذبيحة ويعترف، ويستمع الكاهن إلى خطايا الناس ويقدم الذبيحة. ففي شرائع العهد القديم كان تقديم الذبائح يقترب بالاعتراف، كان يضع الإنسان يده على رأس الذبيحة فتنقل الخطية منه إلى الذبيحة. ليس ذلك فقط بل ويقر رئيس الكهنة بكل خطايا الشعب على رأس ذبيحة الشعب العمومية.
كان هناك تيسين، فلماذا اثنين؟ كان أحدهما يُذبح، والآخر يُطلق في البرية وذلك لأن التيس الذي يُذبح يشير إلى موت السيد المسيح، والآخر يشير إلى قيامته. فمن المحال بعد أن نُذبح التيس الأول؛ يقوم. السيد المسيح قام من الأموات وصعد إلى السماوات، فهو قائم أمام الآب يشفع فينا كل حين. لذلك يقول:
✠ "وإن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار. وهو كفارة لخطايانا" (1 يوحنا 2: 1، 2)

فالرمز في العهد القديم لا يتحقق بأن يوتى بتيس ويُذبح وينتهي الأمر، لأنه أين الحياة التي ترمز إلى أن الرب حي وقائم من الأموات يشفع فينا أمام الآب؟ فإذاً هذه الآية تعني أن السيد المسيح ما زال حياً وبدمة الطاهر قادر أن يكفر عن خطايانا التي نعترف بها كما شرحنا سابقاً.

سؤال: ما معنى "لا تدعوا لكم أباً على الأرض"؟
بعد كل هذا الحديث لا يعترف البعض بالكهنوت مفسرين خطأ الآية التي قالها السيد المسيح لتلاميذه:
✠ "ولا تدعوا لكم أباً على الأرض لأن أباكم واحد الذي في السماوات" (متى 23: 9)

ولنقرأ معاً هذه الفقرة كاملة من إنجيل معلمنا متى:

✠ "حينئذ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلاً: على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون. فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه، ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا لأنهم يقولون ولا يفعلون. فانهم يحزمون احمالاً ثقيلة عسرة الحمل ويضعونها على اكتاف الناس وهم لا يريدون ان يحركوها باصبعهم. وكل اعمالهم يعملونها لكي تنظرهم الناس فيعرضون عصابهم ويعظمون اهداب ثيابهم. ويحبون المتكأ الأول في الولائم، والمجالس الأولى في المجمع، والتحيات في الأسواق، وأن يدعوهم الناس سيدي سيدي. وأما أنتم فلا تدعوا سيدي لأن معلمكم واحد المسيح وأنتم جميعاً إخوة. ولا تدعوا لكم أباً على الأرض لأن أباكم

واحد الذي في السماوات. ولا تدعوا معلمين لأن معلمكم واحد المسيح. وأكبركم يكون خادماً لكم. فمن يرفع نفسه يتضع ومن يضع نفسه يرتفع" (متى 23: 1-12)

جزء من كلام السيد المسيح موجّه إلى الجموع "فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه" وجزء مخصص للآباء الرسل كما هو واضح من المکتوب "خاطب يسوع الجموع وتلاميذه" لذلك قال للتلاميذ (أى الرسل) "فلا تدعوا سيدي. ولا تدعوا معلمين" فمعنى ذلك أنه ينهاهم عن أن يطالبوا الناس بأن يدعوهم سيدي. لأنه يقول إن الكتابة والفريسيين "يحبون. التحيات في الأسواق وأن يدعوهم الناس سيدي سيدي" لذلك يقول لهم "وأكبركم يكون خادماً لكم. فمن يرفع نفسه يتضع ومن يضع نفسه يرتفع".

فهنا يحارب السيد المسيح الكبرياء. فعبارة "فلا تدعوا سيدي" أي لا تطالبوا الناس أن يدعونكم "سيدنا"، فالاحترام ينبع من الآخر ولا يفرض عليه. وهكذا في عبارة "لا تدعوا معلمين" فلا تلتزموا أحداً أن يدعوكم هكذا.

لكن هل هذا الكلام يتناقض مع كلام الكتاب المقدس نفسه عندما يقول:
✠ "فوضع الله أناساً في الكنيسة أولاً رسلاً، ثانياً أنبياء، ثالثاً معلمين، ثم قوات وبعد ذلك مواهب شفاء أعواناً تدابير وأنواع السنة" (1 كورنثوس 12: 28)

إذاً أقام الله في الكنيسة معلمين. فهم لا يطلبون من الناس أن يدعوهم معلمين لكن إن كان الله قد أعطاهم مواهب فيقول:
✠ "ولكن لنا مواهب مختلفة بحسب النعمة المعطاة لنا؛ أنبوة فيالنسبة إلى الإيمان، أم خدمة ففي الخدمة، أم المعلم ففي التعليم، أم الواعظ ففي الواعظ، المعطى فبسخاء، المدبر فباجتهاد، الراحم فبسرور" (رومية 12: 6-8)

وأيضاً:
✠ "وهو أعطى البعض أن يكونوا رسلاً، والبعض أنبياء، والبعض مبشرين، والبعض رعاة ومعلمين" (أفسس 4: 11)

فقد أعطى الله البعض أن يكونوا معلمين فلا يوجد خطأ إن دُعي معلم لأن الله نفسه قد أعطاه هذا اللقب! ولكن عندما قال السيد المسيح لتلاميذه: "لا تدعوا معلمين" كان يكلمهم عن التواضع، وأن لا يطالبوا الناس بأن يدعوهم هكذا. فعندما يتكلم الإنسان لا يقول أنا سيدكم، لأنه يجب أن يشعر في داخله أنه لا يستحق، بل هو خادم للجميع.

في الصعيد يقولون للجد يا سيدي لأنه أب آباء، والجد فعلاً له مقام محترم في الأسرة لكن يتعامل مع الآخرين مثل إخوته.

وقال مثلث الرحمت قداسة البابا شنودة الثالث هذه النصيحة (كن أماً في وسط أولادك وابناً في وسط إخوتك) فلا تتعظم.

أما عن قوله "لا تدعوا لكم أباً على الأرض" فقد خصص الرب الكلام هنا للآباء الرسل الذين هم بمنزلة البطارقة، والبطارقة هم رؤساء آباء *πατριάρχης* (باتريارشيس) التي تعنى "أب لأمّة" فكلمة *πατριά* (باتريا) تعنى "أسرة – عشيرة – شعب - أمّة" وكلمة *ἀρχή* (أرشي) بمعنى "رئيس"، ليس هناك أبوة على الأرض تغلو أبوة البطريرك فهو أب الآباء فيقول لهم "لا تدعوا لكم أباً على الأرض" لأنكم أنتم الآباء في الكنيسة وكل أبوة بعد ذلك تأتي متدرجة منكم.

فبولس الرسول يقول لتلميذه تيموثاوس:

✠ "إلى تيموثاوس الابن الصريح في الإيمان نعمة ورحمة وسلام من الله أبينا والمسيح يسوع ربنا" (1 تيموثاوس 2: 1)

وكذلك:

✠ "هذه الوصية أيها الابن تيموثاوس أستودعك إياها" (1 تيموثاوس 1: 18)

وهكذا أيضاً يدعو تيطس:

✠ "إلى تيطس الابن الصريح حسب الإيمان المشترك" (تيطس 1: 4)

قال السيد المسيح لا تدعوا سيدي ولا تدعوا معلمين أي لا تفتخروا بالتعليم لكن بالنسبة للأبوة لم يقل لهم لا تدعوا آباء لأن الأبوة شيء جميل لذلك يتحدث بولس الرسول إلى أهل كورنثوس فيذكرهم أنه أبوهم بقوله: ✠ "لأنه وإن كان لكم ربوات من المرشدين في المسيح لكن ليس آباء كثيرون، لأنني أنا ولدتكم في المسيح يسوع بالإنجيل" (1 كورنثوس 4: 15)

الربوة عشرة آلاف فهو يقول لهم: لكم عشرات الآلاف من المرشدين لكن ليس آباء كثيرون لأنه هو الذي ولدكم في السيد المسيح بالإنجيل.

ويقول للمؤمنين أيضاً:

✠ "يا أولادي الذين أتمخض بكم أيضاً إلى أن يتصور المسيح فيكم" (غلاطية 4: 19)

فالمخاض يحدث عندما تلد المرأة. فهو يتألم ويعاني في خدمتهم وراعتهم المستمرة حتى يتصور السيد المسيح فيهم، أي إلى أن تتضح صورة السيد المسيح بقوة فيهم، بعد أن لبسوا السيد المسيح في المعمودية بالإيمان الذي بشرهم به بولس الرسول.

وأيضاً استخدم يوحنا الرسول كلمة "يا أولادي" وكلمة "أيها الأولاد" كثيراً، فقال:

✠ "يا أولادي أكتب إليكم هذا لكي لا تخطنوا وأن اخطأ أحد فلنا شفيع عند الأب يسوع المسيح البار" (1 يوحنا 2: 1)

وقال أيضاً:

✠ "يا أولادي لا نحب بالكلام ولا باللسان بل بالعمل والحق" (1 يوحنا 3: 18)

وكرر كلمة "أيها الأولاد" في رسالته الأولى:

✠ "اكتب إليكم أيها الأولاد لأنه قد غفرت لكم الخطايا من أجل اسمه... أيها الأولاد هي الساعة الأخيرة وكما سمعتم إن ضد المسيح يأتي قد صار الآن اضداد للمسيح كثيرون من هنا نعلم أنها الساعة الأخيرة... والان أيها الأولاد اثبتوا فيه حتى إذا اظهر يكون لنا ثقة ولا نخجل منه في مجيئه" (1 يوحنا 2: 12، 18، 28)
✠ "أيها الأولاد لا يضلكم أحد من يفعل البر فهو بار كما ان ذاك بار" (1 يوحنا 3: 7)
✠ "أيها الأولاد احفظوا انفسكم من الاصنام. امين" (1 يوحنا 5: 21)

فمن يستطيع أن يحارب الأبوة في الكنيسة؟! هل يستطيع الناس أن لا يدعوا آباءهم الجسديين يا أبى، فلنسأل في جميع أنحاء العالم إن كان يوجد شخص واحد لا يقول لأبيه يا أبى فإن كان يقول لأبيه الجسدي يا أبى، فهل كثيراً أن يدعو الأب الروحي يا أبى؟! وكيف يطبقون الآية التي تقول "لا تدعوا لكم أباً على الأرض"؟

السيد المسيح نفسه دُعي أب:
✠ "لأنه يولد لنا ولد ونعطي ابناً وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجباً مشيراً إليها قديراً أباً أبدياً
رئيس السلام" (إشعياء 9: 6)

أبوة السيد المسيح شيء مفهوم بالنسبة لنا وأبوة الكهنة هي أبوة مستمدة من أبوة السيد المسيح.

سؤال: كيف نعتزف؟

هناك كثيرون لا يعرفون ماذا يقولون لأباء اعترافهم. ولهذا يعتبرون الاعتراف هم ثقيل. وهناك البعض الذي يذهب ليعترف، وبعد أن يخرج من جلسة الاعتراف يتذكر أموراً لم يعترف بها، ويظل متشككاً في اعترافه.

لهذه الأسباب وغيرها سنشرح بعض النقاط لتكون معيناً للمعترفين في اعترافاتهم. فيذكرهم بالخطايا التي فعلوها ليقدموا عنها التوبة الواجبة.

كذلك سنشرح بعض الملاحظات التي تساعد على الاعتراف وبعض التدريب العملية التي تساعد على الانتصار على الخطية.

على أنه يحسن ألا تنفذ التدريب وحدك، بل ينبغي أن تكون تحت إرشاد أب اعترافك. ولكي تعترف اعترافاً من القلب، يمكن أن تتبع هذه الخطوات البسيطة:

- 1- اجلس مع نفسك في روح الصلاة قبل جلسة الاعتراف بيوم.
- 2- افحص نفسك جيداً وضع علامة أمام الخطية التي يبكتك الروح عليها، حتى تكون مستعداً للإقرار بها أمام الكاهن دون إضاعة الوقت.
- 3- ينبغي أن تكون نادماً من قلبك على خطاياك لأنها ضد قداسة الله.
- 4- لا تدع شيطان الخجل يمنعك من الصراحة في الاعتراف حتى لا تفقد الغفران.
- 5- ينبغي أن تكون عازماً على تصحيح الأخطاء والبعد عنها. وممارسة التدريب الروحية اللازمة لعلاجها.

فيجب عليك أولاً أن تحضر معك في جلسة الاعتراف:

- 1- برنامج القراءات اليومية ومفكرة الخلوة.
- 2- نوتة التتميم الروحية.
- 3- ملخص للاعترافات التي ستقولها.

وإن استدعي الأمر أن تنتظر بعض الوقت، ففكر في الآتي وأنت في انتظار الاعتراف:

- 1- انحصر في خطاياك وفي روح الصلاة.
- 2- لا تشغل بمن حولك جلوس.
- 3- لا تقضى الوقت في الضحك والفكاهات.
- 4- احتمل التأخير بصبر ودون تدمير، فربما يريد الرب أن يعلمك طول الأناة.
- 5- استفيد بالوقت في القراءة أو مراجعة الآيات.

وربما تسأل: كيف أفحص نفسي؟

وهنا أسألك أن تتذكر علاقتك مع الله وكيف تستمتع بالله. وهذا يتوافر من خلال العديد من وسائط النعمة مثل:

- 1- الكتاب المقدس: هل تتمتع بالله من خلال الكتاب المقدس؟ وهل تسمع صوت الله فيه؟ وهل أنت مواظب على قراءته؟
- 2- الصلاة بأنواعها: هل تتحدث مع الله كأب لك في صلواتك؟ هل تشكره على حبه وإحسانه؟ هل تعبر له عن محبتك؟ هل تواظب على مواعيد الصلاة؟ هل تمارس صلاة يسوع؟

- 3- حضور الكنيسة: هل تواظب على حضور الكنيسة من قداستات واجتماعات؟ هل تشعر بحضور الرب في الكنيسة؟ هل تشترك في تمجيد الله وتسبيحه مع الملائكة والشعب؟
- 4- الاعتراف: هل تواظب على الاعتراف مرة كل شهر على الأقل؟ هل تعترف بكل شيء بشفافية؟
- 5- تناول: هل تواظب على تناول من جسد الرب ودمه؟ هل تراعى وجود الرب في داخلك بالتناول في تصرفاتك؟ هل تتسامح مع اخوتك قبل إقدامك على التناول؟
- 6- الصوم: هل تمارس الصوم العام؟ وهل لك أصوام خاصة؟ هل لك فترات انقطاع عن الطعام في الصوم؟ هل تصوم عن الشرور والعادات الرديئة أيضاً؟ هل تخلط الصوم بالصلاة والكتاب المقدس؟
- 7- الكتب الروحية: هل تقرأ كتباً روحية مفيدة؟ هل تستفيد منها؟ هل تحول ما تقرأه إلى تدريبات وتأملات روحية؟

وتظهر علاقتك بالله من خلال علاقتك بالآخرين ومحبتك لهم من خلال قلب السيد المسيح الذي تراه عن طريق:

- 1- البغضة والكراهية: هل تحب الآخرين من قلب السيد المسيح أي تحب خلاص نفوسهم؟ هل تبغض أحداً وتكرهه ولا تتعامل معه أو تخصصه؟
- 2- الغضب والنفرة: هل تغضب على الناس وتفقد أعصابك وتهينهم وتجرحهم؟
- 3- جرح الشعور والشتيمة: هل جرحت أحداً؟ وخصوصاً القريبين منك وهل استخدمت فمك ليشتم من هم مخلوقين على صورة الله ومثاله؟
- 4- الإدانة ومسك السيرة: هل تدين أحداً؟ وتمسك سيرة الناس؟
- 5- عدم الاعتذار والصفح: هل تعتذر لمن أخطأت إليه؟ هل تصفح لمن يسيء إليك وتغفر له؟
- 6- الخصام والعداوة: هل مازلت في خصام في البيت والعمل؟ هل تحب أعداءك؟
- 7- عدم الخضوع للسلطة: هل تخضع لمن هو في سلطة مثل الوالدين؟ صاحب العمل؟ الكهنوت؟ الحكومة؟

وفي علاقتك بالآخرين، تراعى أن تكون بضمير صالح كما يتضح من الآتي:

- 1- الطهارة في حواسك: هل تحافظ على طهارة النظر؟ والفكر؟ والفعل؟ أم أن هناك محاربات؟ وهل تقاومها بقوة الروح القدس؟
- 2- التواضع: هل تحافظ على روح التواضع؟ أم يوجد كبرياء؟ وإعجاب بالنفس؟ وافتخار؟
- 3- الأمانة: هل تراعى الأمانة؟ أم يوجد كذب؟ أو سرقة؟
- 4- حياة الشكر: هل تشكر على كل حال؟ أم يوجد تذمر وعدم رضا؟
- 5- التقصير في الخدمة: هل تقوم بخدمة للرب واخوته؟ أم أنك مقصر في ذلك؟

سؤال: هل هناك تداريب روحية لاستمرارية التوبة؟

نعم وتشمل على سبيل المثال لا الحصر:

أولاً: تدريب الخلوة اليومية

1. الهدف: هو أن نتعلم الخلوة الروحية في كل الأوقات متمثلين برب المجد يسوع " فلما سمع يسوع انصرف من هناك في سفينة الى موضع خلاء منفرداً " (متى 14: 13)، " وفي الصبح باكراً قام وخرج ومضى الى موضع خلاء وكان يصلي هناك " (مرقس 1: 35)، " ولما صار النهار خرج وذهب الى موضع خلاء " (لوقا 4: 42).
2. الطريقة: الخلوة هي فرصة للتأمل في خطاياك وفي عطايا الله وقت القراءة والصلاة. فإن أشارت قراءاتك إلى خطية ما، فكلّم الله مظهراً توبتك عن خطاياك. وإن كانت وصية فاطلب منه القوة لتنفيذها. وإن كانت عطية مباركة اشكره عليها. وإن كانت وعد معين يعطيه الرب لمن يطلبه فأسرع بأن تسأل الله أن يحقق لك هذا الوعد. وإن كانت صفة من صفاته السامية فإنك تستطيع أن تسبحه وتمدحه عليها. وإن كانت مثل أعلى من شخصيات الكتاب فاطلب من الرب أن يعينك لتصير مثلها. الخلوة أيضاً فرصة نتعلم خلالها تنظيم علاقتنا مع الله من خلال المواظبة على قراءة الكتاب المقدس والصلاة.

ثانياً: تدريب الصلاة بالأجبية

1. الهدف: تذكر قول معلمنا داود النبي "سبع مرات في النهار سبحتك على أحكام عدلك" (مزمو 119: 164).

2. الطريقة: التدريب علي حياة الصلاة عن طريق:

- يحسن التدرج في الصلاة بالمزامير.
- ابدأ بصلاة بعض مزامير من صلاة باكر.
- ثم بعض مزامير من صلاة النوم.
- ثم بعض مزامير من صلاة الغروب.
- ومع الوقت تستطيع أن تزيد عدد المزامير.
- ثم مع الوقت تستطيع أن تضيف صلوات سواعي أخرى.
- تدرب على حفظ بعض المزامير والأنجيل والتحاليل.

ثالثاً: الصوم

1- الهدف: الامتناع عن الطعام الجسدي للتغذي بالطعام الروحي "ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله" (متي 4: 4). فالصوم هو إحدى وسائل الاتحاد بالله متى كان مقروناً بالصلاة والكتاب المقدس والتناول.

2- الطريقة: ضبط النفس والتحكم في سلوكياتنا العامة والخاصة بأن

- يكون لك فترة انقطاع تبدأ تدريجياً بتأخير موعد الإفطار ساعة ثم اثنين. حتى الموعد المحدد لكل صوم مع اب اعترافك.
- الاهتمام مع الصوم بالصلاة والكتاب المقدس والتناول، وحضور الاجتماعات وعمل الخير والصدقة.
- الامتناع ليس عن الطعام فقط بل عن الخطايا واللذات والغضب والترفة والكلام الذي لا يليق باولاد الله.

رابعاً: المحبة

1- الهدف: أن نتعلم محبة الآخرين لأننا إن كنا لا نحب الآخرين فنحن لا نعرف الله (1 يوحنا 4: 8) وأن نفرق بين أعمال الإنسان الخاطئة وبين نفسه الغالية. فالله يكره الخطية ولكن يحب نفس الخاطئ.

2- الطريقة: عن طريق الاعتذار لمن تخطى في حقه (متي 5: 23 - 26) والغفران والسماح لمن يخطئ إليك (متي 14: 6).

خامساً: عدم الإدانة

1- الهدف: أن نتعلم خطورة الإدانة التي تجعلنا نساوي أنفسنا بالله وتجلب علينا حكماً بالإدانة كقوله "لا

تدينوا لكي لا تدانوا. لانكم بالدينونة التي بها تدينون تدانون وبالكيل الذي به تكيلون يكال لكم (متي 7: 1 - 2).

2- الطريقة: تجنب أسباب الإدانة من كبرياء الذات التي لا يعجبها تصرفات الآخرين فتنتقدها أو عدم المحبة التي تدفعنا إلى إدانة الآخرين بدلاً من الستر عليهم، الأمر الي حذرنا منه القديس بطرس "لنكن محبتكم بعضكم لبعض شديدة لان المحبة تستر كثرة من الخطايا" (1 بطرس 4: 8). حول نقدك لأي إنسان إلى صلاة من أجله، حتى يساعده الرب على التخلص من أخطائه. فبدلاً من الحديث عن هذا الشخص مع نفسك أو مع الآخرين، تحدث عنه مع الرب وحده.

سادساً: عدم الغضب

1- الهدف: أن نتعلم خطورة الغضب وكيفية التحكم فيه والتخلص منه، فالقديس يعقوب الرسول يحذرنا " غضب الانسان لا يصنع بر الله" (يعقوب 1: 20).

- 2- الطريقة: تجنب أسباب الغضب مثل الطبع الحاد الموروث، الذات والكبرياء، عدم تقدير قيمة النفس ومشاعر الآخرين أو الدفاع عن الحق بطريقة خاطئة.
- تذكر أن قوة الشخصية ليست في الغضب والتمسك بالرأي، بل في احترام آراء الآخرين، وضبط النفس.
- اعلم أن الحب فوق الحق، فخير لك أن تريح محبة الشخص من أن تريح القضية وتخسر نفسه.
- عوضاً عن الغضب صل لأجل هذا الإنسان. (اقرأ كتاب "الغضب" وكتاب "الهدوء" لدراسة البابا الأنبا شنودة الثالث).

سابعاً: الطهارة

- 1- الهدف: أن نتعلم أن "من أحب طهارة القلب فلنعمته شفتيه يكون الملك صديقه" (أمثال 22: 11) وبها نتقرب إلى الله وننعم بالوجود معه إلى الأبد.
2. الطريقة: تذكر أن غريزة الجنس هي نعمة من الله بهدف الزواج وحفظ الجنس البشري وأن الشيطان يحرص الإنسان على استخدامها قبل الأوان لينجسه ويفصله عن الله. ويمكن تحقيق أهداف الطهارة بأن نبتعد عن مجالات العثرة التي تثير الغريزة. أذكر أن جسديك هو هيكلًا للروح القدس (1 كورنثوس 3 و 6).
- إن هاجمك الفكر حوله إلى شكر الله من أجل الغريزة.
- اطلب من الرب أن يحفظها لحين استخدامها الشرعي في سر الزواج العظيم (أفسس 5: 32). وإن كنت متزوجاً، اذكر زوجتك ووجه هذه الطاقة إليها ولا تجلس لوحده مع الكمبيوتر أو غيره، بل اجلس بجوارها وتحدث معها واعطها كل احساس الحب والحنان.
- استبدل اللذة الجسدية بلذة أسمى منها وهي التمتع بروعة السيد المسيح، وتصوره أمامك وارفع قلبك بالترانيم والألحان والصلاة.
- ردد شعار يوسف الطاهر "كيف أصنع هذا الشر العظيم وأخطئ إلى الله" (تكوين 39: 9).

ثامناً: التواضع

- 1- الهدف: أن نتعلم بركات التواضع ورفض الله للمتكبرين، كما قال القديس يعقوب الرسول " يقاوم الله المستكبرين واما المتواضعون فيعطيه نعمه" (يعقوب 4: 6).
- 2- الطريقة: تذكر أن الله لا يقاوم أي خاطئ سوى المتكبر وإن الكبرياء أسقط ملائكة من السماء وآدم من جنة عدن. وأن السيد المسيح قال "تعلموا مني لأني وديع ومتواضع القلب" (متى 11: 29). تذكر أيضاً ما قالتها السيدة العذراء في تسبحتها " شئت المتكبرين بفكر قلوبهم. انزل الاعزاء عن الكراسي ورفع المتضعين" (لوقا 1: 51 - 52).
- كلما أتاك فكر الكبرياء قل لنفسك إن "فضل القوة من الله لا منا" (2 كورنثوس 4: 7).
- رددت مع بولس الرسول "أنا لست أحسب نفسي أني قد أدركت ولكني أفعل شيئاً واحداً إذ أنسى ما هو وراء وأمتد إلى ما هو قدام" (فيلبي 3: 13).
- اعتبر نفسك أصغر الكل.
- قم بالأعمال الصغيرة المحترقة.

تاسعاً: الأمانة

- 1- الهدف: أن نتعلم بركات الأمانة ونجتهد ونسعى لها متذكرين تعليم الكتاب المقدس اتكل على الرب وافعل الخير اسكن الارض وارع الامانة" (مزمو 37: 3).
- 2- الطريقة: تذكر أن الكذب هو عدم أمانة في الكلام وأن الكذابين نصيبهم في البحيرة المتقدة بالنار والكبريت (رؤيا 21: 8). كما أنه لا يوجد كذب ابيض وكذب أسود، فالكذب كله عدم أمانة. أذكر أن السيد المسيح قال "ليكن كلامكم نعم نعم، لا لا" (متى 5: 37). أذكر أيضاً إن السرقة هي عدم أمانة في ما للغير. ردد قول الرب "كن أميناً إلى الموت فسأعطيك إكليل الحياة" (رؤيا 2: 10). لا تقل إلا الصدق، وإن كذبت على أحد اذهب واعتذر له. وإرجاع ما سرقته.

عاشراً: حياة الشكر

- 1- الهدف: أن نتعلم حياة الشكر في كل وقت وفي كل مكان وفي كل أمور الحياة مهما كانت صعبة. فالكتاب المقدس يوصينا "اشكروا في كل شئ لأن هذه هي مشيئة الله في المسيح يسوع من جهتم" (1 تسالونيكي 5: 18).
- 2- الطريقة: تذكر قول الآباء "ليست عطية بلا زيادة إلا التي بلا شكر". فإن الشكر في كل شئ هو دليل الثقة في حكمة الله والشكر يزيل المرارة والتذمر من القلب تعلم أن تشكر الرب على الأمور الصعبة والمأساوية، وليس على الأمور الحلوة والسعيدة فقط. حياة الشكر تجعلنا نرى الله في كل عمل في حياتنا وفي كل مشكلة وضيق نمر بها. ومع هذه كلها نترنم مع داود النبي قائلين "ذوقوا وانظروا ما اطيّب الرب. طوبى للرجل المتوكل عليه" (مزمور 34: 8).

حادي عشر: الرجاء وعدم اليأس

- 1- الهدف: أن يكون لنا رجاء في أفرحنا وأحزاننا، في ضيقنا ووسعنا، في قيامنا وسقوطنا، لأن "خفة ضيقنا الوقتية تنشئ لنا أكثر فأكثر ثقل مجد ابدى" (2 كورنثوس 4: 17).
- 2- الطريقة: تذكر أن حياتنا جهاد دائم، أي حرب مقدسة ضد إبليس. والمفروض أن ننتصر عليه بقوة السيد المسيح. فعندما يحاربك الشيطان باليأس تذكر رحمة الله. وتذكر ما فعله الراهب الذي كان يحاربه الشيطان باليأس ليمنعه عن الصلاة فكان يقول له: أنت تضرب (مرزبة) [أي عصي] وأنا أضرب مرزبة ولننظر من يغلب أنت أم رحمة الله. متى أتاك فكر اليأس ردد هذه الآية: "لا تشمتي بي يا عدوتي، إذا سقطت أقوم، إذا جلست في الظلمة فالرب نور لي" (ميخا 7: 8). اذكر أن الله واقف على بابك ويقرع منتظراً أن تفتح له. فلا تدع عدو الخير يغلق الباب أمامك. ثق في وعد الله الصادق "من يقبل الي لا أخرجه خارجاً" (يوحنا 6: 37).

المراجع

1. الكتاب المقدس
2. كتابات ومقالات وعظات قداسة البابا شنودة الثالث
3. كتابات أباء الكنيسة من الأساقفة والكهنة وبالأخص نيافة الحبر الجليل الأنبا بيشوي في محاضراته عن سلسلة الايمان وابونا زكريا بطرس وآباء آخرين كثيرين.